أخبار ونوادر
القاضي أبي بكر ابن
قُرَيعة العجيبة
(302 - 367 هـ)

تأليف
أبي معاوية
مازن بن عبد الرحمن البحصلي
البيروتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ، وصلَّى الله على محمدٍ خاتمِ النبيين، المرسل بالنور المبين، والكتابِ المستبين، الذي تحدَّى الخَلْقَ أن يأتُوا بمثله فعجزوا عنه، وأقرّوا بفَضْلِه، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن القاضي أبا بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة (كان من إحدى عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع ما يُسْأَل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع)؛ كما وصفه القاضي ابن خلِّكان في كتابه "وفيات الأعيان"، وامتاز القاضي ابن قريعة بموهبة أدبية استحكمت فيه حتى صارت طبعاً لا يتكلّفه ولا يفارقه، ووصفها بقوله: (صار لي طبعاً فلست أستطيع له دفعاً).

وقد اهتمّ الناس بتدوين أجوبة القاضي ابن قريعة وتناقلوها، بل أفرد أبو الفرج الشلحي في أخباره جزءاً، وسرد أبو بكر محمد بن شرف القيرواني (ت 460 هـ) الشاعر المشهور في كتابه الذي سمّاه "أبكار الأفكار" عدة مسائل وجواباتها من هذه المسائل، وقال ابن خلِّكان: (كان رؤساء ذلك العصر وفضلاؤه يداعبونه ويكتبون إليه المسائل الغريبة المضحكة، فيكتب الجواب من غير توقف ولا تلبث مطابقاً لِمَا سألوه، وكان الوزير المذكور يغري به جماعة يضعون له من الأسئلة الهزلية على معان شتى من النوادر الطنزية ليجيب عنها بتلك الأجوبة). اهـ.

فشدّني ما قيل عن القاضي ابن قريعة من نوادر عجيبة، ودفعني إلى إفراد جزءٍ في أخباره ونوادر مسائله، والنصف الأول من الجزء في ترجمة القاضي وأخباره، والنصف الثاني في المسائل وأجوبته العجيبة، وهناك بعض المسائل وردت عن القاضي خسّتها تمنع من ذكرها، فانتقيتُ في كتابي ما استظرفت من كلامه وكان

فيه منفعة وتسلية أدبية للقارئ، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه
أبو معاوية
مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي
بيروت، الخميس 2 ذي الحجة 1441هـ
2020/7/23م

ترجمة القاضي ابن قريعة

اسمه وكنيته:

محمد بن عبد الرحمن، وكنيته أبو بكر، ويُعرَف بابن قُريعة.

هكذا ترجم له الخطيب في "تاريخ بغداد" (317/2) وجميع مَن أتى بعده، ولم يزيدوا في نسبه، إلا أن ابن خلّكان قال: وقُرَيعة: بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة، وهو لقب جدّه، كذا حكاه السمعاني. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: لم أجد السمعاني في ترجمته للقاضي في "الأنساب" (401/10/مادة: القريعي) يذكر أن (قُرَيعَة) لقب جدّه، وإنما قال ابن الأثير في "اللباب في

تهذيب الأنساب" (31/3): (وأما القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن القريعي المعروف بابن قريعة البغدادي فنُسِبَ إلى جدِّه). اهـ. فهل سقطت العبارة من مطبوعة "الأنساب" أم قالها ابن الأثير ووهم ابن خلكان في نسبتها للسمعاني؟

التعريف بكلمة (قُرَيعة):

قال أبو منصور الأزهري في "تهذيب اللغة" (155/1/ط. إحياء التراث): القريـع: الفحل الذي يُصَوَّى للضِّراب، ويقال فلانٌ قَرِيـعُ الكتِيبة وقِرِّيعها، أي رئيسها.

وقال ابن السكيت: قريعةُ البيت: خير موضع فيه، إنْ كان في حَر فخيارُ ظِلِّه، وإن كان في برد فخيار كِنِّه، وقُرعة كلِّ شيء خيارُه، ويقال إنّ ناقتك لقريعة، أي مؤخرة للضَّبَعة. اهـ.

مولده ووفاته:

قال الخطيب: قال لي علي بن المحسن القاضي، وهلال بن المحسن الكاتب: توفي ابن قريعة في يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وثلاث مئة.

زاد هلال: عن خمس وستين سنة. اهـ.

قال أبو معاوية البيروتي: ويفيدنا قول هلال الصابئ أن مولد القاضي سنة اثنتين وثلاث مئة.

وترجمة الخطيب البغدادي لابن قريعة في "تاريخ بغداد" (317/2 – 320) هي أطول وأوثق ترجمة، لقرب عهده به.

الأعمال التي تولّاها القاضي ابن قُريعة:

قال الخطيب: ولّاه أبو السائب عتبة بن عبيد الله القاضي (ت 350 هـ) قضاء السِّندية وغيرها من أعمال الفرات. اهـ.

وقال السمعاني في "الأنساب" (319/3): السِّندية هي قرية على الفرات بنواحي بغداد، اجتزت بها في توجهي إلى الأنبار، وانصرافي عنها. اهـ.

ويبدو عندما صاحَبَ ابنُ قريعة الوزيرَ المهلبي أو الأمير بختيار تولى الحِسْبَةَ في بغداد، ولعلها كانت الحِسْبَةَ في المكاييل والأوزان بسبب تدقيق ابن قريعة في الحساب كما سيأتي في سبب اتصاله بالوزير المهلبي. قال الخطيب: حدثني أبو أحمد الماسح: كانت الحسبة ببغداد إلى ابن قريعة.

والحِسْبَة هي وظيفة جليلة رفيعة الشأن، وموضوعها التحدث في الأمر والنهي والتحدث على

المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته.

مصاحبته للوزير أبي محمد المُهلَّبي:

قال الوزير الأديب أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت 421 هـ) في "نثر الدر" (176/5/ط. العلمية):
سمعتُ الصاحبَ رحمه اللهُ يقول: كان سببُ اتصال ابن قريعَةَ القاضي بالوزير أبي محمد المهلبي أن ابنَ قريعةَ كان قَيِّمَ رحى له، فرفعَ إليه حِساباً، فيه درهمان ودانقان وحَبَّتان، فدعاهُ، وأنكرَ عليه الإغراق في الحساب.
فقال القاضي: أيُّها الوزيرُ، صارَ لي طَبْعاً، فلستُ أستطيع له دَفْعاً.
فقال الوزير: أنا أزيلُه عنك صَفْعاً!
ثم استدناهُ بعد ذلك، وقَرَّبُه. اهـ.

وقال سِبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (509/17/ ط. الرسالة): خُصَّ القاضي ابن قُريعة بأبي محمد الحسن

بن محمد المُهَلَّبي الوزير (ت 352 هـ) في أيامه، ولازمه، ونفق على عز الدولة من بعده.

وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (326/16): كان ابن قريعة ملازماً للوزير المهلبي في مجالس اللهو، وله أجوبة بليغة مسكتة، وكان الوزير يغري به الرؤساء فيباسطونه.

مصاحبته لعزِّ الدولة بختيار:

قال سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (509/17/ ط. الرسالة): خُصَّ القاضي ابن قُريعة بأبي محمد المُهَلَّبي الوزير في أيامه، ولازمه، ونفق على عز الدولة من بعده، وقَرَّبه، ولَطَفَ به عنده، ونادمه، وكان لا يُفارقه، ويُحَمِّله الرسائل، وله ألفاظ مُدَوَّنة. اهـ.

وقال الخطيب في "تاريخ بغداد": قال لي القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي: ورد الأمير بختيار واسطاً

في سنة ستين وثلاث مئة ومعه القاضيان أبو محمد بن معروف، وأبو بكر بن قريعة. اهـ.

وبَخْتِيَار هو أبو منصور عز الدولة ابن مُعِز الدولة أحمد بن بُوَيْه الدَّيْلمي (ت 367 هـ)، ولي المُلْك بالعراق بعد أبيه، وتزوّج الخليفة الطائع بابنته شاه ناز على مئة ألف دينار، وخطب وقت العَقْد القاضي أبو بكر بن قُرَيْعَة، وذلك في سنة أربعٍ وستّين وثلاث مئة، وقُتِل عز الدولة سنة سبع وستين وثلاث مئة، وعاش سِتًّا وثلاثين سنة.

حضور القاضي مجالس عضد الدولة فَنّاخِسْرُو:

هناك عدة روايات ستمر معنا أن القاضي ابن قريعة كان يحضر مجالس السلطان عضد الدولة فَنّاخِسْرُو بن السلطان رُكْن الدولة الحسن بن بُويه الدَّيْلَمِي (ت 372 هـ) في حياة ابن عمه بختيار وبعد مقتله، لكن لم يعد للقاضي الجاه والمنزلة التي كانت عند الوزير المهلبي

والأمير بختيار، بل ورد أن عضد الدولة صادر من ماله مئة ألف درهم! فقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في "تكملة تاريخ الطبري" (ص 223/ط. المطبعة الكاثوليكية): حصل عضد الدولة من المصادرات ألف ألف وتسع مئة وخمسون ألف درهم؛ منها من أبي عمر بن عمر ادى كاتب سبكتكين ألف ألف وخمس مئة ألف درهم، ومن أبي بكر الأصفهاني ألفا ألف درهم، ومن ابن قريعة مئة ألف درهم. اهـ.

وضحك عضد الدولة يوماً من ظريف جواب القاضي ابن قريعة وقال: شارَكْنا بختيار في لَهْوه وطَنْزِه، فقال ابن قريعة: أيها الملك، لكان زمان وآل والملوك تُعاشَر بمثل أخلاقها، وإن كان بختيار أَخَذَ من اللهو بنَصيب وأخذنا معه فإن مولانا يَجِدُنا في الجِدِّ بحيث يَختار ويؤثر ويحبّ.

عائلته:

نقل الخطيب في ترجمة القاضي أن له عدة أولاد، فقال: حَدَّثَنَا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، قال: قال أبو بكر بن قريعة لابنه: أبا إبراهيم ما شغلك عن أبيك؟ استنفق رأسك، واستمرس أخدعك، واستعركت أذناك.

وقال التنوخي: وسأله عضد الدولة عن أولاده، وكانوا مع بختيار، فقال: هم بني عققة، وعن أمري مرقة، وهم بذلك فسقة. اهـ.

فللقاضي من الأولاد ثلاثة أو أكثر، ويبدو أنه كان يعاتبهم على عدم برِّهم به، ولم أجد ذكراً لأيٍّ من أولاده في كتب التاريخ والتراجم.

قالوا عنه

1 - قال الوزير المهلبي: هو واحد زمانه. (التذكرة الحمدونية).

2 - وقال صاحبه أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (كان في حدود الأربع مئة) في "البصائر والذخائر"(100/4- 101): كان ابن قريعة كثير النوادر، غزير الحفظ، فصيح اللسان على تكلف مع ذلك.
وسمعت القاضي أبا حامد يقول: ببغداد ثلاثة قضاة، أحدهم جدّي الظاهر هزلي الباطن، والآخر هزلي الظاهر جدي الباطن، والثالث جدي الباطن والظاهر. فسُئِل عن هؤلاء الثلاثة فقال: أما ابن معروف فظاهره جد وباطنه هزل، وأما ابن قريعة فظاهره هزل وباطنه جد، وأما ابن أم شيبان فظاهره جد وباطنه جد.
وعلّق أبو حيان على قول أبي حامد: ..... وأما جد ابن قريعة في باطنه فما أغناه عن هزله في ظاهره لأنه وقف

الممتعض منه المتباعد عنه، وصار ناصره وعاذره لا يجدان في تهوين شأنه إلا تمليحه واستظرافه.

3 - وكتب الصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت 385 هـ) إلى أبي الفضل ابن العميد (ت 360 هـ) كتاباً يقول فيه: كان في المجلس شيخ خفيف الروح يُعرَف بالقاضي ابن قريعة، جاراني في مسائل خسّتها تمنع من ذكرها، إلا أني استظرفت من كلامه(*).

4 - وقال الخطيب: كان كثير النوادر، حسن الخاطر، عجيب الكلام، يسرع بالجواب المسجوع المطبوع من غير تعمل له، ولا تعمق فيه.

5 - وقال سبط ابن الجوزي: كان خَفيفَ الرُّوح، كثيرَ المَزْحِ، مَليحَ العِبارَةِ، طَيِّبَ النَّادِرة.

(*) نقلها ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان" (383/4).

6 - وقال ابن خلِّكان: كان من إحدى عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع ما يُسْأَل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع.

7 - وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء": كان مزّاحاً خفيف الروح، أديباً فاضلاً، ذكيّاً، سريـع الجواب.

8 - وقال ابن كثير في "البداية والنهاية": كان فصيحاً يأتي بالكلام المسجوع من غير تكلف ولا تردد، وكان جميل المعاشرة .

هل روى ابن قريعة الحديث؟

قال الخطيب: ولا أعلمه أسْنَدَ الحديث.

وقال ابن الجوزي في "المنتظم" (258/14/ط. العلمية): روى عن أبي بكر ابن الأنباري، ولا يعرف له مسند من الحديث.

من فتاويه:

كان أبو الحسين الزاهري يستفتي ابنَ قُرَيعة دائماً في تَعَضُّلاتٍ يَضَعُها، فكتب إليه يوماً: ما يقول القاضي أيَّده الله في رجلٍ باع حِجْراً على رَجُل، فلما رفَع المُشتري ذَنَبَها ليُقَلِّبَها بعد وَزْن ثمنها، فخرج منها ريح مُصَوِّتَة؛ اتَّصلت بحَصاةٍ ففَقأتْ عين الرَّجُل، ما الواجب فيها الدِّيَةُ أو الرَّدّ؟

فكتب ابنُ قريعة تحت خطِّه: الجواب وبالله التوفيق: لم تَجْرِ عادة بمثل هذه البَدائعِ بين مُشْتَرٍ ولا بائع، فلذلك لم تثبت في فَتاوى الفُقهاء، ولم تُسْطَر في كُتب العلماء، ولكن هذا وما شاكَلَه يَجري مُجرى الفُضول، المُسْتَخْرَج من أحكام العُقول، فأقول: إن دِيَةَ ما جَنَتْهُ الحِجر مُلْغاةٌ في حُكم المُهْدَار؛ لأن (العَجْماءَ جَرْحُها جُبار)، لحديث النَّبِيّ المختار - صلى الله عليه وسلم -، لا سيّما والمُشتري عند كَشْفِ عَورتها اسْتَثَارَ كامِنَ سَوْرَتَها، ولكن رَدُّ السِّلْعَة واجب، وعلى البائع لها

إرجاعُها وردُ ما قَبض؛ لأنه دَلَّس حِجْراً، مَضِيقُها مَنْجَنيقُها، ومُطْلِقُها بَيدَقُها, ولم يَبْرَ من ذلك، وإن السِّهام إذا كانت طائشة فتلك من العيوب الفاحِشة، وأغراضها نواظِرُ الحَدَق، وقلّما يَستظهرُ المُقَلِّبون للخيل بالدَّرَق.(*)

من شعره:

قال الخطيب: حَدَّثَنِي محمد بن أبي الحسن، قال: أنشدني أبو العباس أحمد بن علي النحوي الكسائي بمكة، قال: سمعت ابن قريعة القاضي ينشد:

لي حيلة في مَن ينم ..... وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما .... يقول فحيلتي فيه قليله

(*) نقلها سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (510/17)، وذكر محققه أن (الحِجر) هي أنثى الخيل.
والحديث رواه البخاري (6912) ومسلم (1710).

وقد نَسَب إليه ابن الجوزي شعراً ليس هو قائله، والصواب قائله أبو العيناء محمد بن القاسم بن خَلاد الإخباريّ اللُّغَويّ الضّرير (191 – 283 هـ)، كما نقل ابن قريعة نفسه، فقال الخطيب: حَدَّثَنِي أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي، قال: حَدَّثَنَا علي بن محمد بن أحمد الختلي بواسط، قال: حَدَّثَنَا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة، قال: حَدَّثَنَا علي بن موسى الكاتب، قال: اتفقت أنا وأبو العيناء الضرير بمربعة الخرسي، فسلّمت عليه، فقال لي: أحب أن تساعدني إلى سوق الدواب، فتوجهنا نقصدها، فزحمه حمار عليه راكب، فأنشأ يقول:

يَا خالقَ اللَّيلِ والنَّهارِ ..... صَبْراً على الذُّلّ والصَّغارِ
كم من جَوادٍ بلا حمارٍ ..... ومن حمارٍ على حمارِ

فقائل الشعر هو أبو العيناء، ونقله ابن قريعة عن علي بن موسى الكاتب عنه، بينما قال ابن الجوزي في

ترجمته في "المنتظم": زحمه (أي ابن قريعة) يوماً حمار عليه راكب، فقال: .... فذكر الشعر، وتبعه على الخطأ سبط ابن الجوزي والصفدي.

فائدة:

ألّف بعضهم في أخبار أبي العيناء ونوادره العجيبة، فانظر فقرة (1618 – من نوادر أبي العيناء الهاشمي البصري) من "كناشة البيروتي الثالثة"، وهاكم منها بعض نوادره:

1 - لما استوزر صاعد بعقب دخوله من النصرانية في الإسلام صار أبو العيناء إلى بابه، فقيل: يصلي. فعاد فقيل: يصلي. فقال: معذورٌ، لكلِّ جديدٍ لذة!

2 - وقدم إليه يوماً قدراً فوجدها كثيرة العظام؛ فقال: هذه قدرٌ أم قبر؟!

3 – وحمله بعض الوزراء على دابةٍ، فانتظر علفها، فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير هذه الدابة حملتني عليه أو حملته عليَّ؟!

4 - ومرَّ على دار عدو له؛ فقال: ما خبر أبي محمد؟ فقالوا: كما تحب. قال: فما بالي لا أسمع الرنَّة والصراخ؟!

5 - وقال له أبو الجماز: كيف ترى غنائي؟ قال: كما قال الله عز وجل: {إن أنكر الأصوات لصوت الحمير}(لقمان، 19)!

تشيّعه:

انفرد الصفدي بذكر تشيّع القاضي ابن قريعة، ولم يذكر تشيعه جميع مَن ترجم له؛ كالخطيب أو ابن الجوزي أو حتى الحافظ الناقد الذهبي رغم ترجمته له في

عدد من كتبه، لكن تشيعه غير مستبعد لصحبته لآل بُوَيه؛ وهم شيعة جلد.

قال الصفدي في "الوافي بالوفيات" (3/227 – 228): كان القاضي أبو بكر بن قريعة يتشيَّع، ومِن شعره أَبيات، منها: ...... (فذكر بعض الأبيات الدالة على تشيعه).

أبو الفرج الشِّلْحيّ يؤلِّف جزءاً في أخبار ابن قريعة:

قال ابن أنجب الساعي (ت 674 هـ) في "الدر الثمين في أخبار المصنفين" (ص 59/ط. الخزانة الحسنية): محمد بن محمد بن سهل، أبو الفرج، أحد الكتّاب المتأدّبين، له تصنيف، وهو: كتاب "الخراج"، وكتاب "النساء الشّواعر"، وكتاب "تحف المجالسات"، وكتاب "الرياضة"، وكتاب في صناعة الإنشاء، وكتاب في أخبار القاضي ابن قريعة. وكانت وفاته في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة وأربع مئة. اهـ.

وترجم له الذهبي في "تاريخ الاسلام" (393/9-394) فقال: محمد بن محمد بن سهل أبو الفَرَج الشِّلْحيّ العُكْبَرِيّ الكاتب، أحد الفضلاء الكبار، له كتاب "الخراج"، وكتاب "النساء الشواعر"، وكتاب "المجالسات"، و"أخبار ابن قُرَيْعة القاضي" في جزء، وكتاب "الرّياضة"، وغير ذلك. روى عنه أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد العُكْبَرِيّ، وعُمّر تسعين سنة. تُوُفيّ في سلْخ ربيع الأوّل سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة. والشلح: قرية من قُرى عُكْبَرا. اهـ.

فذكر ابن أنجب وفاته سنة (413 هـ)، بينما ذكر الذهبي وفاته سنة (423 هـ).

وقال السمعاني في الأنساب (141/8) : الشِّلْحي، بكسر الشين المعجمة وسكون اللام وفي آخرها الحاء المهملة، هذه النسبة إلى شلح، وظني أنها قرية من عكبرا بنواحي بغداد. اهـ.

وقال ابن نقطة في "تكملة الإكمال" (536/3/ت: عبد القيوم) في (باب الشِّلْحِي والشَّلْجِي): الشلح قرية على

أرض عكبرا قريبة منها، وأما الشَّلجِي بفتح الشين المعجمة وكسر الجيم؛ قال أبو سعد السمعاني: نسبة إلى شلج قرية من قرى طراز إحدى ثغور الترك منها. اهـ.

واطلع ياقوت (ت 626 هـ) على الكتاب، فقال في "معجم البلدان" (358/3): قرأتُ في كتاب "أخبار القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة" - الذي ألفه أبو الفرج محمد بن محمد بن سهل الشلحي من هذه القرية – قال: قال لي القاضي يوماً: ...... فنقل من الكتاب خبرين، ونقل خبراً آخر في "إرشاد الأريب"، (2280/5).

ويبدو أن كتاب أبي الفرج الشلحي انتشر بين الناس واشتهر، فقال ابن خلكان (ت 681 هـ): لابن قريعة مسائل وأجوبة مدونة في كتاب مشهور بأيدي الناس. اهـ.

تنبيه على تصحيف متكرر في "معجم البلدان":

جاء في مطبوعة "معجم البلدان" (358/3) اسم قرية أبي الفرج محمد بن محمد بن سهل: (شِلْجُ). ولم يعرِّف ياقوت آخر الكلمة فقال: بكسر أوله وسكون ثانيه؛ قرية قرب عكبراء. اهـ. وورد مراراً في تلك الفقرة ذكر القرية (شلج) والنسبة إليها (الشلجي) بجيم منقوطة.

قال أبو معاوية البيروتي: الصواب (شِلْح) بحاء مهملة كما ذكر السمعاني وابن نقطة وابن ناصر الدين وابن حجر وغيرهم، وقد عرّف ياقوت بقرية (شلج) قبلها فقال: (شلج ... قرية من طراز تشبه بليدة وهي أحد ثغور الترك)، فوَجَب الرجوع لمخطوط "معجم البلدان" لتحديد الخطأ: أهو من ياقوت أن من طابع الكتاب؟ ورجعت لمخطوطة "معجم البلدان" في المكتبة الوطنية في باريس، وخطها واضح، فإذا فيها: (شِلح بكسر أوله وسكون ثانيه، قرية قرب عكبرا، قرأت في كتاب أخبار القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة

الذي ألّفه أبو الفرج محمد بن محمد بن سهل الشلجي من هذه القرية، قال: قال لي القاضي يوماً: يا أبا الفرج الشلجي بودي أنك من الصلح المشتق اسمها من الصلاح فإن الشلح على ما عرفناه مشتق من أسماء رهبان يلحدون وأعراب يفسدون. قال: كان عز الدولة قد خرج والقاضي معه إلى سر من رأى للتصيد وانفق إلى أن نزل بقرب الشلح وهي بشاطىء دجلة .... وقد نُسِب إلى الشلح غير أبي الفرج وابنه: أبو القاسم آدم بن محمد بن الهيثم بن نوبة الشلحي العكبري المعدل).

ففي المخطوط - وقد أرفقتُ صورة منه- ورد اسم القرية (شلح) مراراً، وهو الصواب.

اسفط بكث لان بكث بمعنى القرية في لغتهم كالكفر في لغة
الشام قرية من طرازيه بليتن وهي احدى ثغور الترك ينسب
اليها يوسف بن يحيى الشلجي حدث عن ابي محمد الخلال روى عنه
ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد بن المبارك الفرا ونجا بن محمد
العطار الدمشقي ولا ادري الى اي شيء ينسب ان لم يكن الى هذا
البلد شلج بكسر اوله وسكون ثانيه قرية قرب عكبرا قرات
في كتاب اخبار القاضي ابي بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة الذي
الفه ابو الفرج محمد بن محمد بن سهل الشلجي من هذه القرية
قال لي القاضي يوما يا ابا الفرج الشلجي يوذي اناث من الصلح
المشتق من الصلاح فان الشلج على ما عرفناه مشتق من اسماء
رهبان يلحدون ولراهب ينفرد عن ذلك كان عز الدولة
خرج والقاضي معه الى سر من راى للتصيد واتفق الى ان نزل
بقرب الشلج وهي بشاطئ دجلة وكان فيها فيما يتصل بكرم وخمر بلاد
حانات كثيرة فلما قعد لقيني وجرى حديث فقال وكنت

من

سلجيكث بفتح اوله وسكون ثانيه ثم جيم مكسورة وياء مثناة
من تحت وكاف مفتوحة وثاء مثلثة بلد من نواحي طراز
من حدود تركستان على سيحون شلجه هو شطر الاسم الذي قبله
اسقط يكث لان يكث بمعنى القرية في لغتهم كالكفر في لغة
الشام قرية من طراز ينسب بليدة وهي احدى ثغور الترك ينسب
اليها يوسف بن يحيى الشلجي حدث عن ابي محمد الخلال روى عنه
ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد بن المبارك الفرا ونجا بن محمد
العطار الدمشقي ولا ادري الى اي شيء ينسب ان لم يكن الى هذا
البلد شلج بكسر اوله وسكون ثانيه قرية قرب عكبرا قرات
في كتاب اخبار القاضي ابي بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة الذي
الفه ابو الفرج محمد بن محمد بن سهل الشلجي من هذه القرية
قال قال لي القاضي يوما يا ابا الفرج الشلجي يوديك انك من الصلح
المشتق من الصلاح وان الشلج على ما عرفناه مشتق من اسماء
رهبان بالجحود ولعل ابي يفسد عن ذاك كان عز الدولة
خرج والقاضي معه الى سر من راى للتصيد واتفق الى ان نزل
بقرب الشلج وهي تشتمل على نحله وكان فيها ما يتصل بكروم وبلاد
حانات كثيرة فلما قعد لهنئ وجرى حديث فقال وكنت
امشي

امشي مع ابي علي الضحاك في دار المعزية ويحضار بينها ما بين ابي
جعفر الشلجي فقلت حفظكما الله قد رايت قريتك بين الموطن
لقاطنيه والمنزل لوارديه ورايت بها دورا لحسنها السعة النزع
افرجة النزع فقد بنتها دور قوم جلة من اهل الملة قالت
عنها فقيل انها موطن قوم من اهل الذمة صناع الخبث حملوها
خزائن المكر فصرفت وجهي كالمنكر قاتلها من قرية لقد كان
الامير عز الدولة جالسا في دار نخيلها عرصة من عوامل السود
وقد نفخ في الصور فقلت تطوف الخبث بها الاموات من
القبور ولقد اصاب ابو جعفر شجيك تولاه الله في الاشتغال
عنها وابعادك منها وقد ذكرها المعتمد على الله في شعر قاله

يا طول ليل تعبنا الصبح ؛ ابعث حراقي ما الترجح ؛
لهفي على دهر لنا قد مضى ؛ بالعلث والقاطول والشلج ؛
فالدير بالعلث فرهبانه ؛ من الشماسين الى الدائج ؛

هكذا اكثر شعر المعتمد فلا تعني في اصلاحه وقد نسب الى
الشلج غير ابي الفرج وابنه ابو القاسم ادم بن محمد بن الهيثم
ابن ثوبة الشلجي العكبري المعدل سمع احمد بن سلمان النجاد
وابن مانع وغيرهما روى عنه ابو طاهر احمد بن محمد بن الحسين

المسائل والأجوبة العجيبة

1 – قال الخطيب في "تاريخ بغداد" (317/2): قال لي القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي (ت 431 هـ): كان ابن معروف وابن قريعة يوماً يتسايران بواسط، فدخلا درب الصاغة، فتأخّر ابن قريعة وقدّم ابن معروف، ثم قال: إن تقدّمت فحاجب، وإن تأخّرت فواجب.

2 – قال الخطيب في "تاريخ بغداد" (318/2): ذكر محمد بن محمد السنجي الكاتب، أن أباه حدثه، قال: كان الوزير أبو محمد المهلّبي تقدم إلى القاضي ابن قريعة أن

يشرف على البناء في داره، وأمر بأن لا يطلق بشيء من النفقة إلا بتوقيع القاضي.

قال: وكان يوماً جالساً مع جماعة في دار المهلبي بقرب الموضع الذي كان القاضي يجلس فيه، فحضر رجلٌ من العامة، فوقف بين يديه ودعا له، وادّعى أن له ثمن ثلاثين بيضة أخذها منه الوكيل لتزويق السقوف ولم يعطه ثمنها، فقال له: بَيِّنْ، عافاك الله، دعواك، وأفْصِح عن نجواك، فمِنَ البيض نعامي وبطي وهندي ونبطي وحمامي وعصافيري، حتى أن السمك يبيض، والدود يبيض، فمن أي أجناسه لك؟ فقال الرجل: أنا لا أبيع بيض النعام لتزويق السقوف، لي ثمن ثلاثين بيضة من بيض الدجاج النبطي، فقال القاضي: الآن حصحص الحق، ما كنيتك؟ فقال: أنا عمر أبو حفص، فقال لكاتب البناء: اكتب، بورك فيك:

إلى الوكيل محمد بن عاصم: حَضَرَنا، تولاك الله، أبو حفص عمر البيضي، فذكر أنه له ثمن ثلاثين بيضة دجاجيًّا، لا بطيًّا ولا هنديًّا، أُخِذَت على شرط الإنصاف

منه، ثم أخذ ثمنها عنه، فارجعْ أكرمك الله إلى موجب كتابك، وما أثبتّه باسم عمر هذا في حسابك، فإنْ كان صادقاً فله ما للصادقين من البر والإكرام، وإعطاء الثمن على الوفاء والتمام، وإنْ كان كاذباً فعليه ما على الكاذبين من اللعن والزجر، وقُلْ له موبخاً: باعدك الله من حريمه، ما أقل وقارك لشيبك وحسبك، وصَلِّ على نبيِّك، وارفع التوقيع إليه.

قال: فلما أخذه الرجل وضعه في جيبه، وقال: ثمن البيض عليَّ أربعة دوانيق، وأنا، والله، لا أبيع هذه الرقعة بدرهمين، ومضى.

وذكر القصة أبو حيان التوحيدي في "البصائر والذخائر" (121/6) مع بعض الاختلاف، فقال: كان المهلبي قد تقدم إلى ابن قريعة أن يشرف على البناء في داره، وأن لا يطلق شيء إلا بتوقيعه، فحضر يوماً بعض السوقة فقال: أصلح الله القاضي، إن لي ثمن ثلاثين بيضة استعملها المزوقون في البناء، فقال: بَيِّنْ عافاك الله، قال: قد بيَّنتُ أيها القاضي، قال: إنما سمعنا بيضاً،

وأجناس البيض كثيرة، قال: أيها القاضي أعني بيض الدنيا، قال: فكأنّا ادّعينا أن في الآخرة بيضاً! ويحك، إن البيض منه الهندي والنبطي والبطي والحمامي والعصافيري والدجاجي، فأيّ بيض بيضك؟ قال: بيض الدجاج النبطي، قال: فأَعِدْ دعواك، قال: لي أعزَّ الله القاضي ثمن ثلاثين بيضة (بيض) الدجاج النبطي، فقال لكاتبه: اكتُبْ: ذكر أبو جعفر البيّاض خبط ونبط أن له ثمن ثلاثين بيضة دجاجيًا، لا نبطيًا ولا هنديًا؛ ارجع - أعزك الله - إلى دفتر حسابك وميزان عملك، فإنْ وجدته صادقاً فقد وجب له ما يجب للصادقين من البر والإكرام وإعطاء الثمن على الوفاء والتمام، وإنْ كان كاذباً فعليه ما على الكاذبين من اللعن والرجم، ثم الحرمان والامتهان، وقُلْ له: باعدك الله من حريمه ما أقل وفاءك لشيبك!

3 – قال الخطيب في "تاريخ بغداد"(2/318-319): حدثني أبو أحمد الماسح، قال: كانت الحسبة ببغداد إلى ابن قريعة، فوافاه أبو عبد الله الزيري الدعاء للسلطان

في المواكب، فشكى إليه أن خياطاً دفع إليه جبّة خز؛ ليفصلها فسرق منها خرقة كبيرة وترها عليه، فكتب ابن قريعة إلى خليفته بباب الشام رقعة نسختها: بسم الله الرحمن الرحيم.

أنا إليك مشوق، وإلى رؤيتك متوق، وما بهذا وعدتني، ولا عليه وافقتني، ومما أخبرك أن أبا عبد الله الزبيري ابتاع جبة خز سوداء؛ ليجمل بها الدين، ويخدم بها سلطان المسلمين، ويجعل فاضلها مقنعة للموفقة الصالحة زوجته، فسلّمها إلى خياط، أمره فيها بالاحتياط، ففعل بها ما لا تفعله الأعراب المغيرون، ولا الأكراد المبيرون، ولا المقاولة (*)، ولا الأزارقة، أن يأخذوا من ثوب خمسه، فيحصل صاحبه مأثمه وخياطه غرسه، إن هذا لأمر عظيم، وخَطَب في الإسلام جسيم، فإنْ رأيت أن تحضر هذا العاض، وتوعده بالإبراق والإغلاظ، وتركبه جملاً عالياً، بعد أن تضربه ضرباً عاتياً، وتطيف به في باب الشام ليكون عبرة للأنام، فلعله يرتدع ويقلع ويرجع، والسلام.

(*) قوله (ولا المقاولة)، لعلها: (ولا المتاولة) أي المُتأوِّلة.

4 – قال الخطيب في "تاريخ بغداد" (319/2): قال لي أبو أحمد الماسح: كتب ابن قريعة إلى صاعد الأكبار في ضيعته لما سُرِق من الدولاب طوقه وزجه: بلغني يا صاعد، حدر الله بروحك إلى جهنم ولا أصعدها، وعن جميع الخيرات أبعدها، أن عاتياً عَتا على الدولاب، في غفلة الرقباء والأصحاب، فسلب منه طوقة وزجه، من غير معرفة ولا حجة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، لقد هممتُ بالدعاء عليه، ثم عطفت بالحنو إليه، وقلت: اللهم إنْ كان أخذه من حاجة فبارك له، وأغنه عن المعاودة إلى مثله، وإن كان أخذه إفساداً وإضراراً فابترْ عمره، واكفِ المسلمين شره، يا أرحم الراحمين.

فكتب إليه صاعد: قد عمرت الدولاب من عندي، والسلام.

5 – قال الخطيب في "تاريخ بغداد" (320/2): حدثني أبو الفتح منصور بن ربيعة بن أحمد الزهري

الخطيب بالدينور (في سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة)، قال: سمعت أبا طاهر العطار قاضي الدينور، يقول: سمعت أبا سعيد السمرقندي، يقول: كان ببغداد قائد يلقّب بِإِلكِيا، كنيته أبو إسحاق، وكان يخاطب ابن قريعة بالقاضي، فبدر منه يوماً في المخاطبة أن قال لابن قريعة: يا أبا بكر، فقال ابن قريعة: لبَّيك يا أبا إسحاق، فقال القائد: ما هذا؟ قال: يا هذا إنما نكوكيك إذا قضيتنا، فإذا بكرتنا تسحقناك، فقال القائد: واويلاه! هذا أفظع من الأول.

6 – قال الخطيب في "تاريخ بغداد" (320/2): حدثنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي (365 – 447 هـ)، قال: قال أبو بكر بن قريعة لابنه: أبا إبراهيم ما شغلك عن أبيك؟ استنفق رأسك، واستمرس أخدعك، واستعركت أذناك.

7 - قال الخطيب في "تاريخ بغداد" (320/2):
حدثنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي (365 – 447 هـ)، قال: سأل عضدُ الدولة ابنَ قريعة عن أولاده، وكانوا مع بختيار، فقال : هم بني عققة، وعن أمري مرقة، وهم بذلك فسقة.

8 - قال الخطيب في "تاريخ بغداد" (320/2):
أخبرنا أبو القاسم الأزهري، وأحمد بن عبد الواحد الوكيل، قالا: أَخْبَرَنَا محمد بن جعفر التميمي، قال: قال أبو الحسن الزهراني لابن قريعة في مجلس المهلبي وزير أحمد بن بويه الديلمي: ما حدود القفا؟ فأجابه في الوقت: ما داعبك فيه إخوانك، وشرطك فيه حجامك، وأدّبك فيه سلطانك، واشتمل عليه جربانك.
فقال له : ما حد الصفع؟ قال: الرفع والوضع للضر والنفع.
وقال ابن خلكان: جُرُبّان الثوب: بضم الجيم والراء وتشديد الباء الموحدة وبعدها ألف ثم نون، وهي

العريضة التي فوق القب، وهي التي تستر القفا، والجربان لفظ فارسي معرب.

9 – قال محمد بن عبد الملك الهمذاني (ت 521 هـ) في "تكملة تاريخ الطبري" (ص 202): حُكِي أنه يوم دخول حمدان بن ناصر الدولة بغداد صدم سبكتكين العجم أحد القواد فقتله ورضح فرسه صاعداً، فاعتل، فلما وصل وافاه القاضي ابو بكر بن قريعة مسلِّماً: فقال حاجبه: إن الأمير نائم، فعاد، فلقيه إنسان فقال: من أين جاء القاضي؟ فقال: أتانا حمدان وافداً، ولأخيه مباعداً، فقتل قائداً، ورضح صاعداً، وظل راقداً.

10 - قال أبو الفرج الشلحي (ت 413 أو 423 هـ): حدثني أبو علي المحسن بن علي التنوخي القاضي (327 – 384 هـ)، قال: لما قلّدني القاضي أبو بكر ابن قريعة قضاء الأهواز خلافة له كتب إلى المعروف بابن سركر الشاهد - وكان خليفته على القضاء قبلي - كتاباً على

يديّ، وعَنوَنه: إلى المخالف الشاقّ، السيء الأخلاق، الظاهر النفاق، محمد بن إسحاق(*).

11 - حضر عند عزِّ الدولة جماعة من الفقهاء فيهم هَرَويّ، فقال: أيها الأمير، هذا من بلد القِشْمِش، ومَعْدِن المِشْمِش، من أهل هَراة، رجالُها سَراة، وجبالُها شَراة. فضحك عز الدولة(**).

12 - كتب إليه أبو عبد الله الزُّبَيرِيّ وَرَقةً يقول فيها: المملوك أبو عبد الله الزبيري، الموسوم بالدُّعاء للملوك في المواكب، والأذان في الجوامع، له مدّةٌ ما وصل إليه جائزة.
فوقَّع عليها: ذكرتَ أنك منذ مدة لم تَقْبِض ما أجريتُه لك من باب البرِّ شيئاً، فشُوهَة بُوهَة، وأحوالٌ مَكروهة، أيكون أحدٌ أحقَّ منك نَسَبًا في المهاجرين، وزَعَقاتٍ في الدِّين، وصَيحاتٍ بمنافع المسلمين؟ اللهم غَفْرًا، نتلافى

(*) ذكرها ياقوت في "إرشاد الأريب" (2280/5).
(**) ذكرها سبط ابن الجوزي في ((مرآة الزمان)) (509/17)، وذكر محققه أن القِشْمِش هو الزبيب الصغير لا نوى له.

ما فرطت منك تلافياً شافياً كافياً إن شاء الله تعالى(*).

13 - حضر يوماً عند عَضُد الدولة وقد خرج من بين يديه أبو العباس أحمد بن علي النَّفَّاط العامل، فقال: هذا أبوه كان يَبيع النَّفْط، فقال له ابن قُرَيعَة وكان واقفًا بحضرته: هذا لقبُ تعريف، لأن اللقب ثلاثة؛ لقبُ تَشريف، ولَقَبُ تعريف، ولَقَب تَسخيف، فقال له عضد الدولة: مثل ماذا؟ فقال: أما التَّشْريف فمثلُ ركن الدولة وعضد الدولة وما كان في معناه، وأما التعريف فمثل ابن النَّفَّاط، وابن اللَّقَّاط، وابن المَقَّاط، وأما التَّسخيف فمثل زيقط وبطبط وقطقط، فضحك عضد الدولة منه(**).

وذكر القصةَ ابنُ حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (356/9 – 357/ط. صادر) مع بعض الاختلاف، فقال: كان القاضي يوماً بحضرة عضد الدولة،

(*) ذكرها سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (509/17).
(**) ذكرها سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (509/17 – 510)، وذكر محقق الكتاب أن المِقاط هو الحبل.

فسمع استغاثة فقال: انظروا ما هي! فقالوا: أحد العمال يُعرف بابن النفاط قد جرت له قصة، فعجب الملك من اللقب الذي نسب هذا الرجل إليه، وكيف هو راضٍ بأن يكتب نسبه في رقاعه وحسابه وكتبه. فقال القاضي: أطال الله بقاء مولانا، لقب تعريف. فقال عضد الدولة: يا قاضي، ما معنى لقب تعريف؟ فقال القاضي: الألقاب، أدام الله نعمة مولانا، ثلاثة: لقب تعريف ولقب تشريف ولقب تسخيف؛ فأما لقب التشريف فعضد الدولة وتاج الملة ومعز الأمة وما أشبه ذلك، وأما لقب التعريف فابن النفاط وابن الخياط وابن الخراط وما أشبه ذلك. وأما لقب التسخيف فابن قطقط وابن زرقط وما أشبه ذلك. فضحك عضد الدولة وقال: القاضي مفتن في كل باب أدخلناه أحسن الخروج منه.

14 – قال ياقوت في "معجم البلدان" (358/3):

قرأتُ في كتاب "أخبار القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة" - الذي ألّفه أبو الفرج محمد بن

محمد بن سهل الشلحي من هذه القرية – قال: قال لي القاضي يوماً: يا أبا الفرج الشلحي بودي أنك من الصلح المشتق اسمها من الصلاح، فإن الشلح على ما عرفناه مشتق من أسماء رهبان يلحدون وأعراب يفسدون.

15 – قال أبو الفرج الشلحي: كان عز الدولة قد خرج والقاضي معه إلى سُرَّ من رأى للتصيد، واتفق أن نزل بقرب الشلح وهي على شاطىء دجلة، وكان فيها مما يتصل بكروم قرداباذ حانات كثيرة، فلما ورد لقيني وجرى حديث، فقال: كنت أمشي مع أبي علي الضحاك في الدار المعزية وبختيار ينزلها بابن أبي جعفر الشلحي، فقلت: حفظكما الله، قد رأيت قريتك؛ بئس الموطن لقاطنيه والمنزل لوارديه، ولقد رأيت بها دوراً ظننتها لسعة الذرع أقرحة الزرع، فقدرتها دور قوم جلة من أهل الملة، فسألت عنها فقيل إنها موطن قوم من أهل الذمة صناع الخبث جعلوها خزائن للمُسْكِر، فصرفتُ وجهي كالمُنكِر، قاتلها الله من قرية، لقد كان الأمير عز الدولة

جالساً في دار تخيلتها عرصة من عراص السور، وقد نفخ في الصور، فقامت ظروف الخبث بدل الأموات من القبور، ولقد أصاب أبو جعفر شيخك تولاه الله في الانتقال عنها وإبعادك منها(*).

16 – كان أبو الحسين الزاهري يستفتي ابنَ قُرَيعة دائماً في تَعَضُّلاتٍ يَضَعُها، فكتب إليه يوماً: ما يقول القاضي أيَّده الله في رجلٍ باع حِجْراً على رَجُل، فلما رفَع المُشتري ذَنَبَها ليُقَلِّبَها بعد وَزْن ثمنها، فخرج منها ريح مُصَوِّتَة؛ اتَّصلت بحَصاةٍ ففَقأتْ عين الرَّجُل، ما الواجب فيها الدِّيَةُ أو الرَّدّ؟

فكتب ابنُ قريعة تحت خطِّه: الجواب وبالله التوفيق: لم تَجْرِ عادة بمثل هذه البَدائعِ بين مُشْتَرٍ ولا بائع، فلذلك لم تثبت في فَتاوى الفُقهاء، ولم تُسْطَر في كُتب العلماء، ولكن هذا وما شاكَلَه يَجري مُجرى الفُضول، المُسْتَخْرَج من أحكام العُقول، فأقول: إن دِيَةَ ما جَنَتْهُ

(*) ذكرها ياقوت في "معجم البلدان" (358/3).

الحِجر مُلْغاةٌ في حُكم المُهْدَار؛ لأن "العَجْماءَ جَرْحُها جُبار"، لحديث النَّبِيّ المختار - صلى الله عليه وسلم -، لا سيّما والمُشتري عند كَشْفِ عَورتها اسْتثَارَ كامِنَ سَوْرَتَها، ولكن رَدُّ السِّلْعَة واجب، وعلى البائع لها إرجاعُها وردُ ما قَبض؛ لأنه دَلَّس حِجْراً، مَضِيقُها مَنْجَنيقُها، ومُطْلِقُها بَيدَقُها, ولم يَبْرَ من ذلك، وإن السِّهام إذا كانت طائشة فتلك من العيوب الفاحِشة، وأغراضها نواظِرُ الحَدَق، وقلّما يَستظهرُ المُقَلِّبون للخيل بالدَّرَق(*).

وذكرها النويري في "نهاية الأرب" (15/4/ط. العلمية) فقال: استُفتِي بعض القضاة، وقد نُسِبَت إلى القاضي أبي بكر بن قريعة، فقيل له ....

17 - انحدر القاضي أبو بكر ابن قريعة إلى ضيعة له، فلما وصلت سميريته إلى شاطئ القرية سبق أكّار من أكرته يهودي اسمه شعيب، ومعه جماعة، فتظلّم من

(*) ذكرها سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" (510/17)، وأفاد محقق الكتاب أن (الحِجر) هي أنثى الخيل، والحديث رواه البخاري (6912) ومسلم (1710) من رواية سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وكيله وأعطاه رقعة كان قد كتبها له معلم في القرية في وقتها بالحبر، وأخذها وطواها وهي رطبة فانطمس أكثرها. فلما دفعها إلى القاضي أعطاها لكاتبه فقال: اقرأ ما فيها، فلم يفهم شيئاً من المكتوب فيها، فأطال استخراجه لها، والقاضي مستوفز والأكرة يصيحون، فضاق صدره واستبطأ كاتبه، فأخذ الرقعة من يديه ليقرأها فكانت صورته مثل صورة الكاتب، فردّها إليه وقال له: وقِّع فيها: {يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} (هود، 91). وادفع الرقعة إليه. ونهض من السميرية صاعداً(*).

18 - كان ابن قريعة القاضي في مجلس المهلبي، فوردت عليه رقعةٌ فيها: ما يقول القاضي - أعزّه الله - في رجل دخل الحمام فجلس في الأبزن لعلّةٍ كانت به، فخرجت منه ريحٌ وتحول الماء زيتاً، فتخاصم الحمامي

(*) ذكرها ابن حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (225/3/ط. صادر).

والضارط، وادعى كلّ واحدٍ منهما أنه يستحق جميع الزيت بحقه فيه. فكتب القاضي في الجواب: قرأتُ هذه الفتيا الظريفة، في هذه القصة السخيفة، وأخلق بها أن تكون عبثاً باطلاً وكذباً ماحلاً، وإن كان ذلك كذلك فهو من أعاجيب الزمان وبدائع الحدثان. والجواب - وبالله التوفيق - أن للصاقع نصف الزيت بحق وجعائه، وللحمامي نصف الزيت بحق مائه، وعليهما أن يصدقا المبتاع منهما عن خبث أصله وقبح فصله، حتى يستعمله في مسرجته، ولا يدخله في أغذيته(*).

19 - دخل يوماً القاضي ابن قريعة إلى عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز، فأعرض عن استدعائه، فقال: ما بال مولانا لا يدعوني إلى الفوز بأكل الموز؟ فقال: صفه حتى أطعمك منه، فقال: ما أصف من جرب ديباجية، فيها سبائك ذهبية، كأنما زبداً وعسلاً، وخبيصاً مرملاً،

(*) ذكرها ابن حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (225/3/ط. صادر) والزمخشري في "ربيع الأبرار" (282/1/ط. الأعلمي)، والأبزن حوض من المعدن ونحوه للاستحمام.

أطيب الثمر، كأنه مخ الشجر، سهل المقشر، لين المكسر، عذب المطعم بين الطعوم، يتسلسل في الحلقوم. ثم مد يده فأخذ وأكل(*).

20 - قال أبو إسحاق الصابئ: كنت يوماً جالساً في دار المهلبي والقاضي أبو بكر بن قريعة على قرب مني يصلّي. فلما فرغ من صلاته نهض وبسط يديه يدعو، ورفعهما حتى كشف إبطيه، ثم سجد سجدةً طويلةً وهو يشد بجبهته الأرض ويمحي وأنا أتأمله، فلما فرغ من صلاته ودعائه قال لي: لِمَ كنتَ تحدّ النظر إليّ وتوفّر فكرك عليّ وأنا أصلّي؟ أصبوتَ يا شيخ الصابئة إلى شريعة الملة الصافية؟ فقلت: لا، بعد، ولكن كنت أعجب من القاضي وهو يرفع يديه حتى يعلو رأسه ثم يحط جبهته الأرض حتى كأنه يحفر بها، فاستشعرت أنه بمثابة من يبتغي طلبته من موضعين متنافيين، وكان عندي أني قد قطعته. فقال: وما ذاك يا شيخ الصابئة بعجيب، وإن له من

(*) ذكرها ابن حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (9/119 -120).

الصواب لأوفر نصيب. فقلت: وكيف ذاك؟ فقال: لأنّا نشير بأيدينا إلى مطالع رغبتنا رافعين، قال الله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات، 22). ونخفض جباهنا إلى مصارع أجسامنا خاضعين، قال الله وهو أصدق القائلين: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} (طه، 55)، فنحن نستنزل بالأولى لطيف الأرزاق، ونستدفع بالأخرى عنيف الإرهاق، والله كريم.

ودَمَعت عيناه فأبكاني، وعظم في عيني، فدخلت على الوزير وأعدت عليه ذلك، فعجب منه وقال: هو واحد زمانه(*).

21 – كان القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن قريعة في دار المهلبي، وقد نزع القاضي دنيته وتركها إلى جنبه، فجاء أبو إسحاق الصابي وجلس إلى جانبه، وأخذ المروحة ليتروح وضرب الدنية بالمروحة دفعات

(*) ذكرها ابن حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (325/9)

كأنه ينفضها من التراب، والقاضي في الصلاة، فخَفَّف ثم قال له: يا أبا إسحاق، أما إنها لو كانت في مقر عزها لعز عليك ما هان من أمرها. ثم عاد إلى صلاته(*).

22 - كتب إلى القاضي ابن قريعة العباسُ بن المعلى الكاتب: ما يقول القاضي، وفقه الله تعالى، في يهودي زنى بنصرانية، فولدت ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر، وقد قُبِضَ عليهما، فما يرى القاضي فيهما؟

فكتب جوابه بديهاً:

هذا من أعدل الشهود، على الملاعين اليهود، بأنهم أُشْرِبوا حبّ العِجل في صدورهم، حتى خرج من أيورهم، وأرى أن يُناط برأس اليهودي رأس العجل، ويُصلَب على عنق النصرانية الساق مع الرجل، ويُسحبا على الأرض، وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض، والسلام(**).

(*) ذكرها ابن حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (376/9).
(**) ذكرها ابن خلّكان في "وفيات الأعيان" (383/4).

23 - سأل الزيبري أبا بكر بن قريعة في مجلس المهلبي عن النرد، فقال: ما أدري، غير أني أرى لبداً مخططاً، وخشباً مخرطاً، وعظماً منقطاً، وأيديا تضرب ميطاً، وكلٌّ يطلب بصاحبه شططاً(*).

24 - كتب بعض الفضلاء (إلى القاضي ابن قريعة): ما يقول القاضي (أيّده الله تعالى) في رجل سمّى ولده مداماً، وكنّاه أبا الندامى، وسمى ابنته الراح، وكناها أم الأفراح، وسمى عبده الشراب، وكناه أبا الإطراب، وسمى وليدته القهوة، وكناها أم النشوة، أينهى عن بطالته، أم يؤدب على خلاعته؟

فكتب تحت السؤال: لو نُعت هذا لأبي حنيفة، لأقعده خليفة، وعقد له رايه، وقاتل تحتها من خالف رأيه. ولو علمنا مكانه، لقلبنا أركانه. فإن أتبع هذه الأسماء أفعالاً،

(*) ذكرها الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ) في "محاضرات الأدباء" (829/1/ط. القلم). وأفادنا الزركلي رحمه الله بتاريخ وفاة الراغب في "الأعلام" (255/2) فقال في الحاشية: "روضات الجنات" (249)؛ وعنه أخذنا تاريخ وفاته .
أما اللعب بالنرد فحرام، روى مسلم في "صحيحه" (2260) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه"!

وهذه الكنى استعمالاً، علمنا أنه أحيا دولة المجون، وأقام لواء ابنه الزرجون، فبايعناه وشايعناه. وإن تكن أسماء سمّاها ما له بها من سلطان خلعنا طاعته، وفرّقنا جماعته؛ فنحن إلى إمام فعّال، أحوج منا إلى إمام قوّال(*)

25 – خطبة خطبها القاضي أبو بكر ابن قريعة في دار أبي إسحاق الصابي:

الحمد لله الذي تيّن فوزّر، وعنّب فرزّق، ورطّب فسكّر، وخوّخ فشطّب، وكمثر فختر، ومشمش فصفّر، وبطّخ فعسّل، وتفّح فعطّر، وموّز فأنضج، ودقّق فجوّز، وجردق فسمّذ، وبورد فكثّر، وسكرج فلوّز، وملّح فطيّب، وخلّل فسفتج، وخردل فحرّف، وبقل فخضّر، وقثّأ فدقّق، وبورن فنعّم، ومصّص فحمّض، وطجّن فجفّف، وسنبس فثلّث، وسكبج فزعفر، وهرّس فصولج، وبصّل فعقّد، وسبذج فصعّد، وسمّق فمزّز، وطبهج فحرّف، وبيّض فعجّج، وجدّا فرضّع، وبطّط فسمّن، ودجّج

(*) نقلها عن "محاضرات الراغب الأصفهاني" محمد إسعاف النشاشيبي في مقالته "نقل الأديب" في مجلة "الرسالة" (العدد 611/ بتاريخ 1945/03/19 م).

فصدّر، وفرّخ فشام، وحبّب فبزّر، وجوذب فخشخش، ورزّز فألبن، وخبّص فلوّز، وفلذج فحمّر، وقطّف فعرّف، ولوزج فسكّر.

أحمده على الضّرس الطحون، والفم الجروش، والحلق البلوع، والمعدة الهضوم، والسفل النّثور، والذكر القؤوم، والغداء والعشاء، والفطور والسحور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق السموات ومحلّل الطيّبات، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، مبيح المحلّلات، وحاظر المحرّمات.

وإنّ أبا إسحاق إبراهيم بن هلال، أرشده الله، أطعمنا فصدرنا، وماهنا فأثلجنا، وسقانا فروانا، ومدّ ستارته فأسمعنا وأطربنا، واستنشدناه فأنشدنا، واستحدثناه فحدّثنا، فارفعوا أيديكم إلى الله عباد الله، فالدعاء له بما يردّ ثواب فعله إليه، ويسهّل الدعوة الثانية عليه، إنّه قريب مجيب، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين(*).

(*) ذكرها ابن حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (5/308 - 309).

26 - كتب أبو إسحاق الصابي إلى القاضي أبي بكر ابن قريعة عن الوزير أبي طاهر ابن بقية يعزّيه عن ثور له مات:

التعزية عن المفقود - أطال الله بقاء القاضي - إنما تكون بحسب محلّه من فاقده، من غير أن تراعى قيمته ولا قدره ولا ذاته ولا عينه، إذ كان الغرض تبريد الغلّة، وإطفاء اللوعة، وتسكين الزفرة، وتنفيس الكربة. فربّ ولد عاقّ، وشقيق مشاقّ، وذي رحم عاد لها قاطعاً، وقريب قوم قلّدهم عاراً، وناط بهم شناراً، فلا لوم على التارك للتعزية عنه، وأحر بها أن تستحيل تهنئة بالراحة منه. وربّ مال صامت أو ناطق كان صاحبه به مستظهراً وله مستثمراً، فالفجيعة به إذا فقد موضوعة موضعها، والتعزية عنه واقعة موقعها. وبلغني أنه كان للقاضي - أيّده الله - ثور أصيب به فجلس للعزاء عنه، وأنه أجهش عليه باكياً، والتدم عليه والهاً، وحُكِيَت عنه حكايات في

التأبين له، وإقامة الندبة عليه، وتعديد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرّقت في غيره واجتمعت فيه، فصار بها منفرداً عنهم كالذي قيل فيه من الناس:

وليس لله بمستنكر ..... أن يجمع العالم في واحد

وأنه كان يكرب الأرض مغمورة، ويربّها مزروعة، ويدور في الدولاب ساقياً، وفي الرحى طاحناً، ويحمل الغلّات مستقلًّا، والأثقال مستخفًّا، فلا يؤوده عظيم، ولا يبهظه جسيم، ولا يجري في القران مع شقيقه، ولا في الطريق مع رفيقه، إلا كان مجلّياً لا يسبق، ومبرزاً لا يلحق، وفائتاً لا ينال شأوه ونهايته، وماضياً لا يدرك مداه وغايته.

وأشهد الله أنّ الذي ساءه ساءني فيه، وما آلمه آلمني له، ولم يجز عندي في حكم ما بيني وبينه استصغار خطب جلّ عنده وأرمضه، ولا يهوننّ صعب بلغ منه وأمضّه؛ فكتبتُ هذه الرقعة قاضياً بها من الحقّ في مصابه بقدر ما أظهره من إكباره، وأبله من إعظامه. وأسأل الله أن

يخصّ القاضي من المعوضة بأفضل ما خصّ به البشر عن البقر، وأن يفرد هذه العجماء بأثرة من الثواب، يضيفه بها إلى المكلّفين من ذوي الألباب، فإنها وإن لم تكن منهم فقد استحقّت أن تلحق بهم، بأن مسّ القاضي أيده الله سببها، وأن كان إليه منتسبها، حتى إذا أنجز الله ما وعد به عباده المؤمنين من تمحيص سيئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التي جعلها الله لهم داراً، ورضيها لجماعتهم قراراً، أورد القاضي حينئذ موارد النعيم، مع أهل الصراط المستقيم، وثوره مجنوب معه مسموح له به. وكما أنّ الجنة لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، إنما هو عرق يجري من أبدانهم، ويروي أغراضهم كالمسك، كذلك يجعل الله مجرى الأخبثين من هذا الثور يجريان للقاضي بالعنبر الشّحريّ، وماء الورد الجوريّ، فيصير ثوراً له طوراً، وجونة عطار طوراً. وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر، ولا مستصعب ولا متعذّر، إذ كانت قدرة الله - جلّ ثناؤه - محيطة، ومواعيده لأمثاله ضامنة بما وعد الله في

الجنة لعباده الصادقين، وأوليائه الصالحين، من شهوات نفوسهم وملاذّ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه بمانعه ذاك مع صالح مساعيه ومحمود شيمه. وقلبي متعلّق بمعرفة خبره - أدام الله عزّه - فيما ادّرعه من شعار الصبر، واحتفظ به من صالح الأجر، ورجع إليه من التسليم لأمر الله عزّ وجلّ الذي طرقه، والسكون لما أزعجه وأقلقه، فليعرّفني القاضي من ذلك ما أكون به ضارباً معه بسهم المشاركة فيه، وآخذاً بقسط المساعدة عليه، إن شاء الله.

الجواب من القاضي ابن قريعة:
وصل توقيع سيدنا الوزير بالتعزية عن اللاي الذي كان للحرث مثيراً، وللدولاب مديراً، وبالسّبق إلى كثير من المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان مساعداً وظهيراً.

ولعمري لقد كان بعمله ناهضاً، ولحماقات البقر رافضاً، وأنّى لنا بمثله وشرواه ولا شروى له، فإنه كان من أعيان

البقر، وأنفع أجناسها للبشر، مضاف ذلك إلى خلائق حميدة، وطرائق سديدة. ولولا خوفي تجديد الحزن عليه، وتهييج الجزع لفقده، لعددتها فيه ليعلم أنّ الحزين عليه غير ملوم، وكيف يلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاة، ومن خدم معيشته بهيمة تعين على الصوم والصلاة. وفهمته فهم متأمّل لمراميه، وشاكر على النعمة فيه، فوجدته مسكّناً ما خاطر اللبّ وخامر القلب، ففقد هذا اللاي من شدّة الحرق، وتضاعف القلق، وتزايد اللوعة، وترادف الارتماض بعظم الروعة، فرجعت إلى أمر الله فيه من التسليم والرضا، والصبر على ما حكم وقضى، واحتذيت ما مثّله سيدنا الوزير من جميل الاحتساب، والصبر على أليم المصاب، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قول من علم أنه سبحانه أملك بنفسه وماله وولده وأهله منه، وأنه لا يملك شيئاً دونه، إذ كان جلَّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه الملك الوهّاب، المرجع ما يعوّض عنه نفيس الثواب.

ووجدت أيّد الله سيدنا الوزير للبقر خاصّة على سائر بهيمة الأنعام التي أكثر أقوات البشر بكدّها وعلى ظهرها وحراثها إلا قليلاً، قال الله سبحانه: {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} (الواقعة: 63- 64)، ولما رأى الحجّاج الأسعار قد تضايقت، وقرى السواد قد خربت، حرّم لحوم البقر، لعلمه وعلم جميع الناس بما في بقائها من المنافع والمصالح. ورأيت الله تعالى قد أمر في القتيل الذي وجد في بني إسرائيل أن يضرب بقطعة من بقرة بلغ ثمنها ثلاث مئة ألف دينار؛ فلولا فضيلة البقر لما خُصَّت من بني الأنعام بذلك، ووجدت بني إسرائيل بعدما شاهدوه من قدرة الله جلّ وعلا في جفوف البحر ويبسه وأمر الحية والعصا، فلما غاب عنهم موسى عليه السلام عبدوا عجلاً.

ووجدت الحكمة في أربعة من الأمم: الهند والفرس والروم والعرب. فأما الهند فإنها تعظّم البقر تعظيماً مشهوراً، حتى إنها حرّمت لحمها وصارت ترى قتل من

استحلّ ذبح شيء منها. ووجدنا الفرس تعظّمها وتتطهّر بأبوالها. ووجدنا الروم تعظّمها وقد جعلت لها عيداً، وتمنع من أكل لحومها. ووجدنا العرب قد جعلتها أجلّ قرباناتها إلى الله في أعيادها، وعقيقتها عن أولادها.

ويروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: (إنّ ملكين من حملة العرش على صورة البقرة يدعوان الله بأرزاق البهائم)، فلولا ما فيها من التكريم والتعظيم والتقديم على سائر البهائم لما خصّت بهذه المناقب العظام. ولولا إشفاقي من الخروج في الإطناب عن الغرض المطلوب، والمذهب المركوب، لزدت في إيضاح مناقبها، والإفصاح بأوصافها التي تتميّز بها عن
المخلوقات،المركوبات،والمثيرات والحارثات، ولكن قد

مضى ما فيه كفاية، وإن لم يكن بلغ النهاية. (وبعده الدعاء) (*).

(*) ذكرها ابن حمدون (ت 562 هـ) في "التذكرة الحمدونية" (4/296 - 299).
قال أبو معاوية البيروتي: أما قوله: ويروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: "إنّ ملكين من حملة العرش على صورة البقرة يدعوان الله بأرزاق البهائم"، فلم يرد فيه حديث مرفوع فيما وقفت عليه، بل وجدتُ آثاراً عن التابعين كعروة بن الزبير ووهب بن منبه وغيرهما، منها ما رواه أبو الشيخ في "العظمة" (483) من طريق عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال: .... فذكر أثراً طويلاً، وفيه قوله عن حملة العرش: (كانوا ثمانية؛ ملَك منهم في صورة إنسان يشفع لبني آدم في أرزاقهم، وملَك في صورة النسر يشفع للطير في أرزاقها، وملَك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها، وملَك في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها، ولكلِّ ملَكٍ منهم أربعة وجوه؛ وجه إنسان ووجه نسر ووجه ثور ووجه أسد). وعبد المنعم بن إدريس قال عنه الإمام أحمد: كان يكذب على وهب بن منبه، وقال البخاري: ذاهب الحديث.
ونقل أبو الشيخ في "العظمة" (30) عن ابن إسحاق عند ذكره الملائكة حملة العرش فقال: يزعم أهل التوراة من أهل الكتاب الأول أنهم أربعة أملاك؛ ملَك في صورة رجل وملَك في صورة ثور وملَك في صورة أسد وملَك في صورة نسر. اهـ. فهذه الأخبار من الإسرائيليات.
رأي الحافظ ابن كثير في الإسرائيليات:
قال رحمه الله في تفسيره لسورة الأنبياء (الآية 51): وما قَصَّهُ كثيرٌ من المفسّرين وغيرهم، فعَامّتُها أحاديثُ بني إسرائيل. فما وافقَ منها الحقّ مما بأيدينا عن المعصوم قَبِلْناه، لموافقته الصحيح، وما خالف منها شيئًا من ذلك ردَدْناه، وما ليس فيه موافقةٌ ولا مخالفةٌ، لا نصدّقه ولا نكذّبه، بل نجعله وَقْفًا. وما كان من هذا الضَّرْبِ منها فقد رخَّص كثير من السلف في روايته. وكثيرٌ من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصلَ له مما يُنْتَفَع به في الدّين. ولو كانت فائدتُه تعود على المكلَّفين في دينهم لبيَّنَتْه هذه الشريعةُ الكاملةُ الشاملةُ. والذي نَسْلُكه في هذا التفسير الإعراضُ عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتَمل عليه كثيرٌ منها من الكذب المُرَوَّج عليهم، فإنهم لا تَفْرِقَةَ عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حَرّره الأئمةُ الحُفّاظ المُتْقِنُون من هذه الأمة.

آخر ما تجمع عندي من أخبار ومسائل القاضي ابن قريعة، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

الفهرس العام